القلب اللطيف الرّوحاني

بعض وظائفه ـ بيان ما يحيا به

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(حول تفسير سورة ق)

من الصفحة ١٠٠ حتى الصفحة ١١٦

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة

وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام

من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام

- المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

قوله تعالى: ﴿**إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾.

والمعنى: إنَّ فيما تقدم ذكره في السورة من الآيات والمواعظ والعبر ـ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب، والمراد بالقلب هنا القلب الروحاني اللطيف.

فإنّ القلب قد يطلق ويراد به القلب الجسماني وهو القلب الصنوبري الشكل، المودع في التجويف الأيسر من الصدر، وفي هذا القلب قَلب روحاني لطيف ويُسمى اللطيفة الربانية، وهي مودعة في القلب الجسماني ولها علاقة قوية بالروح.

وبتلك اللطيفة صار الإنسان إنساناً، وهي موضع الإدراك والعلم والخطاب.

والقلب بهذا المعنى هو المراد في هذه الآية، وفي كثير من الآيات القرآنية:

﴿**إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾.

فالقلب اللطيف الروحاني هو موضع التذكر والتفكر، وهذا القلب له خصائص ووظائف متعددة؛ أذكر جملة منها ـ ولتلك الوظائف والخصائص كان أشرف عضو بل هو المِلك على الأعضاء:

١ ـ القلب هو موضع التعقل، قال تعالى: ﴿**فتكون لهم قلوب يعقلون بها**﴾ وموضع التذكر والتفكر، قال تعالى: ﴿**إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾.

٢ ـ القلب موضع الإيمان، قال تعالى: ﴿**أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيَّدهم بروحٍ منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون**﴾.

فالقلب كتاب عظيم شريف، شرفه الله تعالى بكتابة الإيمان فيه، وزيَّنه ونوَّره وعشَّقه به، ولما كان القلب هو رئيس الأعضاء وأشرفها جعله الله تعالى موضع الإيمان به سبحانه وتعالى.

٣ ـ القلب هو زجاجة تتلألأ فيها أنوار الإيمان، قال سبحانه: ﴿**الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كَأَنَّها كوكب دُرِيٌّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور**﴾ الآية.

فالإيمان في القلب هو نور من الله تعالى، كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنّ الله خلق الخلق في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضلّ»[1].

فالـذين تَعَرَّضُوا لنوره استناروا بنوره فعرفوه.

فالمصباح المنير هو الإيمان الذي أودعه الله تعالى في القلب، والزجاجة هي القلب، والمشكاة هي الكوة المودع فيها القلب وهي الصدر، ـ وقد شرحت ذلك في كتاب: (الصعود) فارجع إليه تجد التفصيل.

فالقلب هو بيت معرفة الله تعالى، وأما المساجد فهي بيوت عباداته، ولذلك بعدما ذكر القلب ذكر المساجد كما في سورة النور.

---

(١) رواه الترمذي وأحمد وغيرهما.

وفي الحديث[1] عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**القلوب أربعة: قلب أجرد** فيه مثل السِراج يُزهر، **وقلب أغلف**[2] مربوط على غلافه، **وقلب منكوس** - أي: مقلوب - **وقلب مصفَح**.

فأما القلب الأجرد:فقلب المؤمن، سراجه فيه نوره، **وأما القلب الأغلف**:فقلب الكافر، **وأما القلب المنكوس**: فقلب المنافق عَرف ثم أنكر، **وأما القلب المصفح**: فقلب فيه إيمان ونفاق، ومَثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق كمثل القرحة يمدها الدم والقيح، فأيّ المدَّتين غلبت على الأخرى غلبت عليه» فإنْ غلبت المَدَّة بمادة الماء الطيب طاب وصلح، وإن غلبت المَدَّة بمادة الدم والقيح خبث وفسد.

٤ - القلب بيت المحبة الإلهية والمعرفة، وتتجلَّى فيه أنواره وأسراره سبحانه، فقلوب أوليائه مصابيح الهدى.

جاء في الحديث عن معاذ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، وإن الله تعالى يُحب الأبرار الأتقياء الأخفياء؛ الذين إن غابوا لم يُفتقدوا، وإن حضروا لم يُعرفوا؛ قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة»[3].

٥ - قلب المؤمن كرم يفيض بالخير، ويعطي الثمرات الطيبة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا تسمُّوا العنب الكرم، الكرم قلب المؤمن»[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد بإسناد جيد. (٢) أي: المغلف المشدود عليه.
(٣) رواه ابن ماجه، والحاكم وصححه، والبيهقي.
(٤) رواه البخاري في (الأدب) والبيهقي.

فقلب المؤمن أحقُّ أنْ يسمى كرماً، لأنّ خيره أكثر، ونفعه أكبر من كرم العنب.

فإن الإيمان المزروع في قلب المؤمن لا يثمر إلا خيراً ونفعاً، من الأقوال والأعمال والأحوال والمعاملات، ونفع العباد والبلاد، وفلاح الدنيا والآخرة.

٦ ـ قلوب الصالحين أوعية، يملؤها الحق بمعرفته، وهي أوانٍ مليئة بالنور الإيماني، ومحبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

روى الطبراني بإسناد حسن عن أبي عيينة الخولاني، أنّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إن لله تعالى آنيةً من أهل الأرض، وآنيةُ ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبُّها إلى الله ألينها وأرقُّها».

وعن ابن عَمرو رضي الله عنهما، أنّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «القلوب أوعية، وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله عز وجل أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة؛ فإنّ الله تعالى لا يستجيب لعبد دعاءً عن ظهر قلبٍ غافل»[1].

٧ ـ القلب هو موضع نظر الحق من الخلق.

ولما كان سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم قلب الأكوان ذكره سبحانه في قلب القرآن فقال عز وجل: ﴿**يس والقرآن الحكيم إنّك لمن المرسلين**﴾.

وفي الحديث: «إنّ لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس ومن قرأها كتب الله تعالى له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات دون يس»[2].

---

(١) رواه أحمد بسند حسن.

(٢) رواه الترمذي.

وروى مسلم وأحمد وغيرهما ـ وأصله في الصحيحين ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ في حديث طويل ـ: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

وفي رواية: «إنّ الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره الشريف ثلاث مرات» الحديث.

فمجمع التقوى كلها في قلبه الشريف صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو أتقى العالمين، ومجمع تقوى كل إنسان في قلبه.

وفي حديث الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لكل شيء معدن، ومعدن التقوى قلوب العارفين».

٨ ـ القلب بيت الحب والبغض، ويَشْرف القلب بالحب الذي يرتضيه الله ورسوله، وذلك بأن يمتلىء بمحبة الله ورسوله، ومحبة من يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث مَنْ كُن فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار».

وجاء في الحديث الذي رواه الترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أحبُّوا الله لِمَا يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله إيّاي، وأحبوا أهل بيتي بحبي».

وفي خطبته صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ كما في

البيهقي ـ: «أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملُّوا ذكره».

٩ ـ القلب موضع الوَجَل من الله تعالى، وموضع الخشوع لله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿**إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون**﴾.

وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ يأْنِ للذين آمنوا أَنْ تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أُوْتوا الكتاب من قَبْل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون**﴾.

فمسلم لا يخشع قلبه معاتب من الله تعالى، بل شأن المسلم أنْ يخشع قلبه لذكر الله تعالى: بتلاوة القرآن الكريم، وحديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وبأنواع صيغ ذكر الله: بلا إله إلا الله، وبالتسبيح، والتحميد والتكبير، وبالصلاة على الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

والقلب الذي لا يخشع يُستعاذ منه، فإنه قلب قاسٍ، والقلب القاسي بعيد من الله تعالى، وسبب القسوة طول الأمل في الدنيا، وتعلق القلب بحطام الدنيا، فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة، وحبك الشيء يعمي ويصم، فيعمي القلب ويصمه عن سماع الحق وقبوله.

ونسأل الله تعالى العافية من قلب لا يخشع، وعلم لا ينفع، ودعاء لا يُسمع، وبطن لا تشبع ـ كما استعاذ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من ذلك كله.

١٠ ـ القلب منزل السكينة من الله تعالى.

السكينة نور من الله تعالى يُلقيه الله تعالى في قلب عبده

المؤمن، فيطمئن لها القلب بعد الاضطراب، وتسكن لها النفس، وينشرح لها الصدر.

قال الله تعالى: ﴿**هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيْماناً مع إيمانهم**﴾ الآية.

فالسكينة تنزل إذا تُلي القرآن الكريم، فيزداد الإيمان ويقوى نوره في القلب.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل وفي آخره: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتابه ويتدارسونه بينهم: إلاّ نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ـ ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه».

فمجالس القرآن، ومجالس حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم منازل السكينة من الله تعالى، ومجتمعات الملائكة وحفاوتهم بالقارئين، وهكذا مجالس العلم الشرعي الديني الذي هو مبني على: قال الله تعالى وقال رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ويرحم الله تعالى الإمام الشافعي القائل:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابي ليس خلف فيه

وقال أيضاً رضي الله عنه:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
فالعلم ما قيل فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين

فالعلوم الفلسفية القائمة على النظريات الفكرية؛ ولم تقم على دليل من الكتاب والسنة فهي ردٌّ على قائلها.

فإذا قيل: قال الله تعالى أو قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يجوز أن يقال في مقابل ذلك قال فلان، وقال الفلاسفة، وقال الحكماء.

فكلام الله تعالى فوق حكمة كل حكيم، لأنّه سبحانه له الحكمة المطلقة التي لا تنتهي، وهو يؤتي الحكمة من يشاء، وقد أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم الكتاب والحكمة، وعَلَّمه ما لم يكن يعلم علوماً لا يحصيها إلا الله تعالى الذي أعطاه إيّاها، فهو المرجع في جميع الآراء والنظريات، والفِكَر والفهم والعلم، ولذا قال علماؤنا الأولون:

لا خير فيما الفَلّ أوله وآخره سفه

- أي: فلسفة[1].

فقل لمن يدَّعي في العلم فلسفة عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: لو أخَّرتَ تقبيل الحجر الأسود وأشرتَ إليه بيدك من بعيد بدلاً من أن تُجْهد نفسك من الزحام وتقبِّله.

فقال له: من أين أنت؟

قال الرجل: من اليمن.

قال: اترك هذه الكلمة في اليمن، ودعْنا منها هنا، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قَبَّله فلا بدَّ أن أقبله اهـ.

فالصحابة رضي الله عنهم كان شأنهم الاتباع وترك الأهواء والآراء.

(١) ورضي الله تعالى عن الإمام حجة الإسلام الغزالي الذي ألَّف كتاب: تهافت الفلاسفة، وذكر فيه أنواعاً من أخطائهم وزلاتهم وأباطيلهم.

١١ ـ صلاح القلب يتبعه صلاح الجسم حِسّاً ومعنىً، وفساده يتبعه فساد الجسم حسّاً ومعنى.

روى الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهة لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومَنْ وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراعٍ يَرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

ألا وإنّ لكل ملك حِمىً، ألا وإنّ حمى الله في أرضه محارمه.

أَلاَ وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحتْ صلح الجسد كله، وإذا فسدتْ فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

١٢ ـ القلب له حواسّ ومدارك سمعية وبصرية، وذوق وشمّ من باب الإدراك والتحسس الروحي ـ فالمؤمنون هم أهل البصائر القلبية، والأذواق والمواجيد القلبية.

قال تعالى: ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾.

وقال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ الآية.

فلما جاء القرآن بالبصائر أبصرته القلوب المفتّحة بصائرها، وهناك من عَمي عَنْها وتعاظم فَضَلّ:

قال الله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وعلى آله وسلم: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله تعالى ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم نبياً ورسولاً» متفق عليه.

فهذا ذوق القلب الإيماني.

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ثلاث مَنْ كن فيه وجَد بهنَّ حلاوة الإيمان: أنْ يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأنْ يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأنْ يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار» متفق عليه.

فهناك مواجيد قلبية يحلو بها قلب المؤمن وينعم بوجدانها.

وأما الكفار فكما قال سبحانه فيهم: ﴿**صُمٌّ بكم عمي فهم لا يعقلون**﴾.

فهم صم القلوب وعميها وبكمها ـ ونسأل الله تعالى العافية.

١٣ ـ صاحب القلب التقي هو من أفضل الناس عند الله تعالى.

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أيُّ الناس أفضل؟

فقال صلى الله عليه وسلم: «كل مخموم القلب صدوق اللسان».

قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟

قال: «هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي، ولا غلَّ ولا حسد»[1].

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه ابن ماجه بإسناده صحيح، والبيهقي وغيره أطول منه. اهـ.

فسلامة القلب من داء الحسد والغل وما وراء ذلك أمر إيماني، ولا يدخل الجنة إلّا بقلب سليم، فيجب على المؤمن أن يتباعد عن الحقد والحسد والغل والغش.

روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يا بني إنْ قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غشّ لأحد فافعل، فإن ذلك من سنتي، ومن أحبَّ سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة».

وعن الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن بُدَلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكن دخلوها برحمة الله تعالى؛ وسخاوة الأنفس، وسلامة الصدور»[1].

وعن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً فتح له قفل قلبه، وجعل فيه اليقين والصدق، وجعل قلبه واعياً لما سلك فيه[2]، وجعل قلبه سليماً، ولسانه صادقاً، وخليقته مستقيمة، وجعل أذنه سميعة، وعينه بصيرة» رواه أبو الشيخ.

١٤ ـ القلب موضع الهدى والثبات، أو الزيغ والضلال.

جاء في (السنن) والرواية لابن مَرْدويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كثيراً ما يدعو:

«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

قلت: يا رسول الله، ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء.

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب: (الأولياء) مرسلاً، اهـ.

(٢) أي: لما دخل فيه من العلم والتذكير.

فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ليس من قلب إلاَّ وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا شاء أَنْ يُقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاغه، أما تسمعي قوله تعالى: ﴿**ربَّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهاب**﴾».

وقد جاء هذا الحديث من طريق أم سلمة وأنس وغيرهما رضوان الله تعالى على صحابة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجمعين، بروايات متعددة.

وما سمي الإنسان إلا لنسيه وما القلب إلا أنه يتقلَّب

اللهم ثبت قلوبنا على دينك، فإنك قلت: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾.

١٥ ـ القلب هو منزل الإيمان وبيته.

جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أنّ الأمانة نزلت في جَذر قلوب الرجال، ثُمَّ نَزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة») الحديث كما في الصحيحين.

والمراد هنا بالأمانة الإيمان، وما يتطلبه من أقوال وأعمال، وأحوال وأخلاق، وأداء حقوق الخالق سبحانه، وأداء حقوق المخلوقات.

١٦ ـ في القلب واعظ إلهي يعظ صاحبه.

جاء ذلك في حديث الإمام أحمد عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، وقد ذكرته بتمامه في تفسير سورة الفاتحة، عند الكلام على الصراط المستقيم.

ورُوي عن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله

عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً جعل له واعظاً في قلبه»، وفي رواية: «من نفسه يأمره وينهاه» رواه الديلمي.

قوله تعالى: ﴿إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾.

هذا وعد من الله تعالى مُحتَّم، وخبرٌ صادق، وكفالة إلهية لمن يُريد أنْ يَنتفع بالقرآن، وأنْ تسريَ روح القرآن في قلبه، ويسير بنور الإيمان.

وإنّ القرآن شفاء محتم، ودواء يشفي العليل، وماء يَروي الغليل لا محالة ـ وذلك أنّ القلوب أصناف:

الصنف الأول: قلب يقظ حاضر حيٌّ، محرَّر من سيطرة الأهواء والآراء عليه، فإن صاحب هذا القلب متى سمع كلام الله تعالى لا بدَّ أنْ يتذكر فوراً، وأنْ يتعظ ويزدجر، ويخشع القلب الوجل من الله تعالى، وربما أخذه البكاء كما قال سبحانه: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾.

وقال الله تعالى: ﴿الله نزَّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرُّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء﴾.

«اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا شر ما قضيت، فإنك تقضي، ولا يقضى عليك، وإنّه لا يَذِلُّ مَنْ واليتَ ولا يعزُّ مَنْ عاديتَ، تباركتَ ربنا وتعاليتَ، فلك الحمد على ما قضيت، أستغفرك اللهم وأتوب إليك».

الصنف الثاني: قلب غافل ساهٍ، فيقال لصاحبه: ألق سمعك، وأصغ لما تسمع وما يتلى عليك، وأشهِد قلبكَ ـ أي: أحضره ولا تتركه غائباً وغافلاً، فلا بدَّ من حصول الهدى والتذكر والنفع، وذلك لأنَّ تمام التأثير هو موقوف على مؤثِّرٍ مقتضٍ، ومحلٍ قابل، وشرط حصول التأثير انتفاء المانع الذي يمنع منه.

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة قواعد حكيمة بليغة يحتاج تفصيلها إلى صحف كبيرة وكثيرة، فجاء بها القرآن الكريم على وجه الإيجاز والإعجاز فإذا حصل المؤثِّر وهو تلاوة القرآن الكريم، والمحلُّ القابل وهو القلب الحي، أو الغافل إذا أحضره صاحبه؛ ووُجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وغفلته وذهوله عن الاستماع ومعنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر؛ إذا تحقق ذلك حصل الانتفاع والتذكر بالقرآن لا محالة، هذا خَبَرٌ صادق عن رب العالمين، ومن أصدق من الله قيلاً؟

اللهم افتح أقفال قلوبنا بذكرك، وأتمم علينا نعمتك من فضلك، واجعلنا من عبادك الصالحين.

الصنف الثالث: قلوب قاسية معرضة عن سماع القرآن الكريم، ومنصرفة عنه، بل هم على كراهية لسماعه، قال تعالى: **﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾**.

فهم يُعرضون ويلغون للتشويش على السامع.

وقال تعالى: **﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأنَّ في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم﴾**.

فهؤلاء وإنْ سمعوا ولكن قلوبهم مشغولة ومعرضة، ومتكبرة

عن السماع بالأذن، فهم يخرجون كأنهم لم يسمعوا.

قال تعالى: ﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾.

فإذا استحكم هذا الحال في المُعْرض عن سماع القرآن، وصرفته الشواغل والأهواء، وتكبر عن الاستماع لكلام الله تعالى، واستمر على ذلك طُبع على قلبه طابع الكفر.

قال تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبَّرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغيِّ يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾.

وقال تعالى: ﴿كذلك يَطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾.

واعلم أيها العاقل أَنّ القلب لا يَحيى إلا بنور الإيمان، ونور العلم النازل من عند الله تعالى على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو كتاب الله تعالى، وأحاديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والحكمة المقتبسة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، الصادرة عن قَلْبٍ مؤمن منيب مخلص منوَّر.

قال تعالى: ﴿اعلموا أنّ الله يُحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾.

قال حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية الكريمة: قال: (يُلين الله تعالى القلوب بعد قسوتها، فيجعلها مُخبتة منيبة، ويُحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة ـ وإلاَّ

فقد علم إحياء الأرض بالمطر مشاهدة)اهـ.

والمعنى: أنَّ الآية تلفت النظر، وتنبه العقل؛ إلى أمر وهو حياة القلوب بهذا القرآن الكريم والحكمة النبوية، فإنَّ ذلك نازل من عند الله تعالى، فكما أنَّه سبحانه يحيي الأرض بما يُنزله من السماء من ماء؛ فإنّه سبحانه يحيي القلوب بماء القرآن والوحي النبوي، فمن أراد أنْ يحيىٰ قلبه وتقوى فيه الحياة فعليه بكتاب الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ الآية.

فجاء صلى الله عليه وعلى آله وسلم بروح يحيي به القلوب والأرواح.

قال لقمان الحكيم لابنه: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله تعالى يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل المطر. اهـ.

وكان صلى الله عليه وسلم يقول في مقدمة خطبته:

«أمَّا بعدُ فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» الحديث كما رواه مسلم وغيره.

وروى الترمذي عن أمير المؤمنين عليّ كرم الله تعالى وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

«كتاب الله تعالى فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل.

مَنْ تركه من جبَّار قصمه الله تعالى، ومَنِ ابتغى الهدى في

غيره أضلَّه الله تعالى.

وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يَخلُق على كثرة الردّ، ولا تشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿**إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به**﴾.

من قال به صدق، ومَنْ عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراط مستقيم».